حَيَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

مَوْلِدُ النُّـــورِ

كتبها
سمير حلبي

رسوم
عبد المرضى عبيد

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٢

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-192-2

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

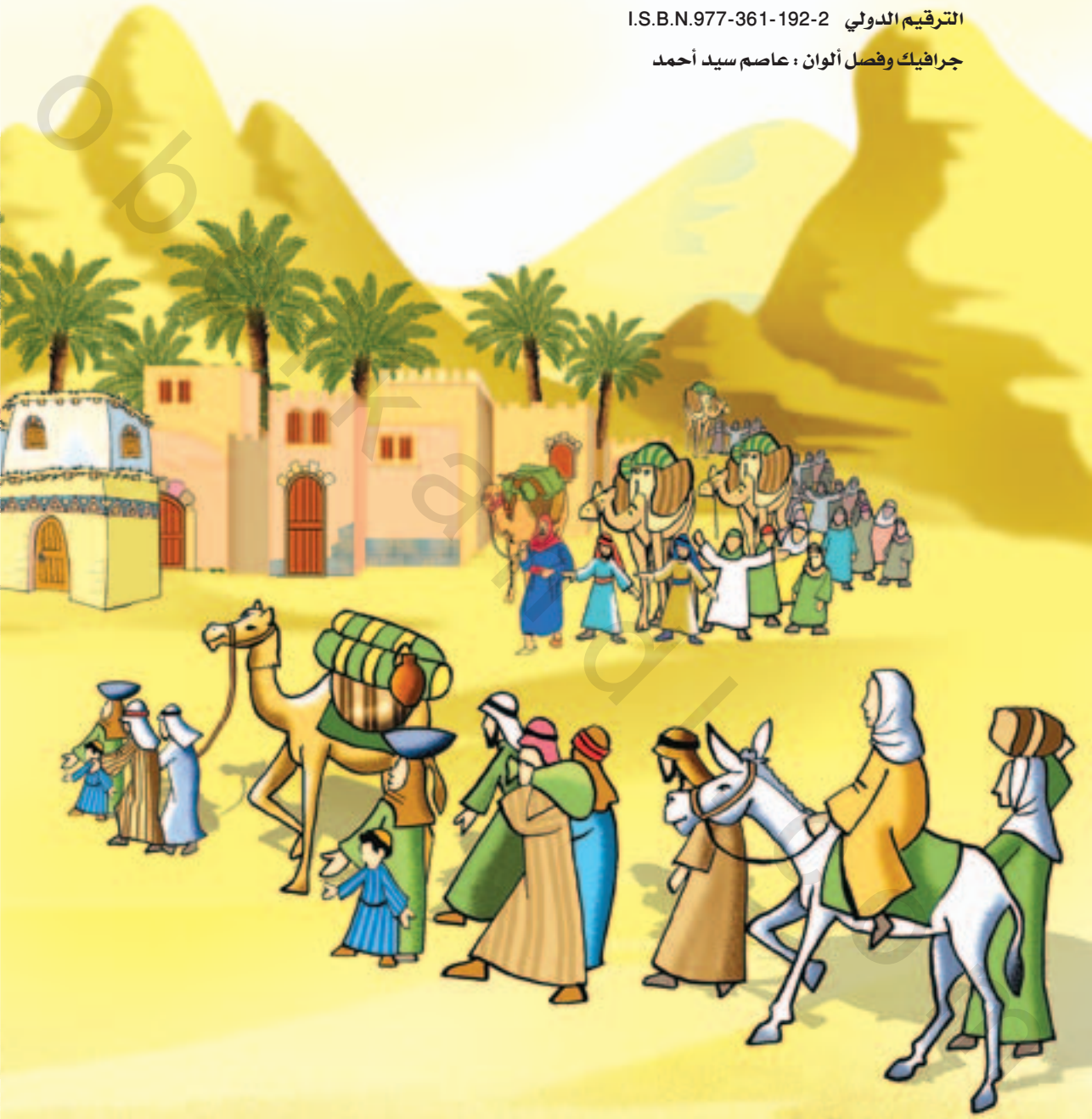

ظَلَّتِ الكَعْبَةُ المُشَرّفَةُ التِى بَنَاها «إبْرَاهِيمُ» و«إسماعِيلُ» - عَلَيْهِمَا السَّلامُ - فِى «مَكَّةَ»، هِى بَيْتَ اللّه الحَرَامَ الذِي يَحُجُّ إلَيهِ العَرَبُ مِنْ

كَافَّةِ أَرجَاءِ جَزِيرَةِ العَرَبِ كُلَّ عَامٍ. ولكنْ مَعَ مُرورِ الزَّمَانِ بَدَأَ النَّاسُ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ وَيَضَعُونَهَا حَوْلَ الكَعْبَة للتَّبَرُّكِ بِهَا .

وكانَ اهتِمَـامُ العَرَبِ بالكَعْبَةِ وَتَعْظِيمُهم لَهـا يُثِيرُ غَيْـرَةَ وَحَسَدَ كَثِيـرٍ مِنَ المُلُوكِ والحُكَّامِ فى البِلادِ المُجَاوِرَةِ، وَكَانَ «أَبْرَهَةُ» الحَبَشِيُّ – مَلِكُ «اليَمَنِ» – مِنْ أَشَدِّ هَؤُلاءِ غَيْظًا وحِقْدًا مِنْ تِلْكَ المَكَانَةِ التى تَحْظَى بِهَا الكَعْبَةُ فِى قُلُوبِ العَرَبِ .

بَنى «أَبْرَهَةُ» كَنِيسَةً عَظِيمةً سمَّاها «القُلَّيْس»، كانَتْ أَكْبَرَ وأَجْمَلَ بِناءٍ شَهِدَهُ العَرَبُ، وأَرَادَ «أَبْرَهَةُ» أَنْ يَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الكَعْبَـةِ ، وَيَحُجُّوا إِلَـى «القُلَّيْس» بَـدَلاً مِنْها، لَكِنَّ العَرَبَ لَمْ يَهْتَمُّوا بِأَمْرِ تِلْكَ الكَنِيسَةِ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ لِزِيَارَتِهَا .

غَضِبَ «أَبْرَهَةُ» غَضَبًا شَدِيدًا، وَجَهَّزَ جَيْشًا كَبِيرًا، جَعَلَ عَلى مُقَدِّمَتِهِ فِيلاً ضَخْمًا، وَخَرَجَ إِلَى «مَكَّةَ» يُرِيدُ هَدْمَ الكَعْبَةِ، وَحِينَمَا عَلِمَ العَرَبُ بِذَلِكَ خَرَجَتْ بَعْضُ القَبَائِلِ لِقِتَالِهِ، وَلَكِنَّه هَزَمَهم وانْتَصَرَ عَلَيْهِم.

obeikandl.com

سَـارَ «أَبْرَهَـةُ» فِى طَرِيقِـهِ حَتَّى وَصَـلَ إِلَى مَشَـارِفِ «مَكَّةَ»، واسْتَوْلَـى جُنُـودُه عَلَى كلِّ مَـا قَابَلَهُم فِى طَرِيقِهِم مِـنْ أَمْوَالِ أَهْلِ «مَكّـةَ» وَأَغْنَامِهِم وإبلِهِـم، وكانَ فِيمَا اسْتَولَـوا عَلَيْـهِ مائَتَـا جَمـلٍ لِعَبدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ سَيِّدِ «قرَيْشٍ».

obeikandl.com

أَرْسَلَ «أَبْرَهَةُ» أَحَدَ رِجَالِهِ إِلَى «مَكَّةَ» لِيُقَابِلَ زَعِيمَهَا «عَبْدَالمطَّلِبِ»، وَيَدْعُوه إِلَى لِقَائِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ «عَبْدُ المطَّلِب» عَلَى «أَبْرَهَةَ» أَخَذَتْهُ الهَيْبَةُ مِنْهُ، فَزَادَ فِى إِكْرَامِهِ وَتَقْدِيرِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ «عَبْدُ المُطَّلِبِ» :

حَاجَتِى أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ المَلِكُ المِائتِي جَمَلٍ التِى اسْتَوْلَى عَلَيْهَا جُنُودُهُ .

obeikandl.com

نَظَـرَ «أَبْرَهَـةُ» بِدَهْشَةٍ إِلَـى «عَبْدِ المُطَّلِبِ» وَقَالَ لَـهُ وَقَدْ أَخَذَهُ العَجَبُ :

- لَقَـدْ كُنْـتَ أَعْجَبْتَنِـى حِـينَ رَأَيْتُـكَ؛ فلمَّـا كَلَّمْتَنِـى عَجِبْـتُ لأمْرِكَ!!

أَتُكَلِّمُنِى فِى أَمرِ مائَتَيْ جَمَلٍ، وَتَتْرُكُ الكَعْبَةَ وَهِيَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِك، وَقَدْ جِئْتُ لأهْدِمَها ؟!..

قَالَ «عَبْدُ المُطَّلِبِ» وَهُوَ يَجْمَعُ ثَوْبَهُ وَيَهُمُّ بالانْصِرَافِ :

- أيُّها المَلِكُ. أمَّا الإبِلُ فَهِيَ لِي، وَأَمَّا البَيتُ فَلَهُ رَبٌّ سَيَحْمِيهِ.

فَقَالَ «أَبْرَهَةُ» بِغَضَبٍ: فَلْيَحْمِهِ مِنِّي إِذَنْ !

قَالَ «عَبْدُ المُطَّلِبِ» بِثِقَةٍ وَهُدُوءٍ: سَتَرَى ذَلِكَ بِنَفْسِكَ أيُّها المَلِكُ!

عَادَ «عَبْدُ المُطَّلِبِ» إِلَى «مَكَّةَ» فَأَخْبَرَ أَهْلَهَا بِمَا جَرَى مَعَ «أَبْرَهَةَ» وَأَمَرَهُم بِالخُرُوجِ مِنْ «مَكَّةَ» والذَّهَابِ إِلَى الجِبَالِ القَرِيبَةِ مِنْهَا للاحْتِمَاءِ بِهَا ، فَخَرَجُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَفْعَلُهُ «أَبْرَهَةُ» بِمَكَّةَ وبِالكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ.

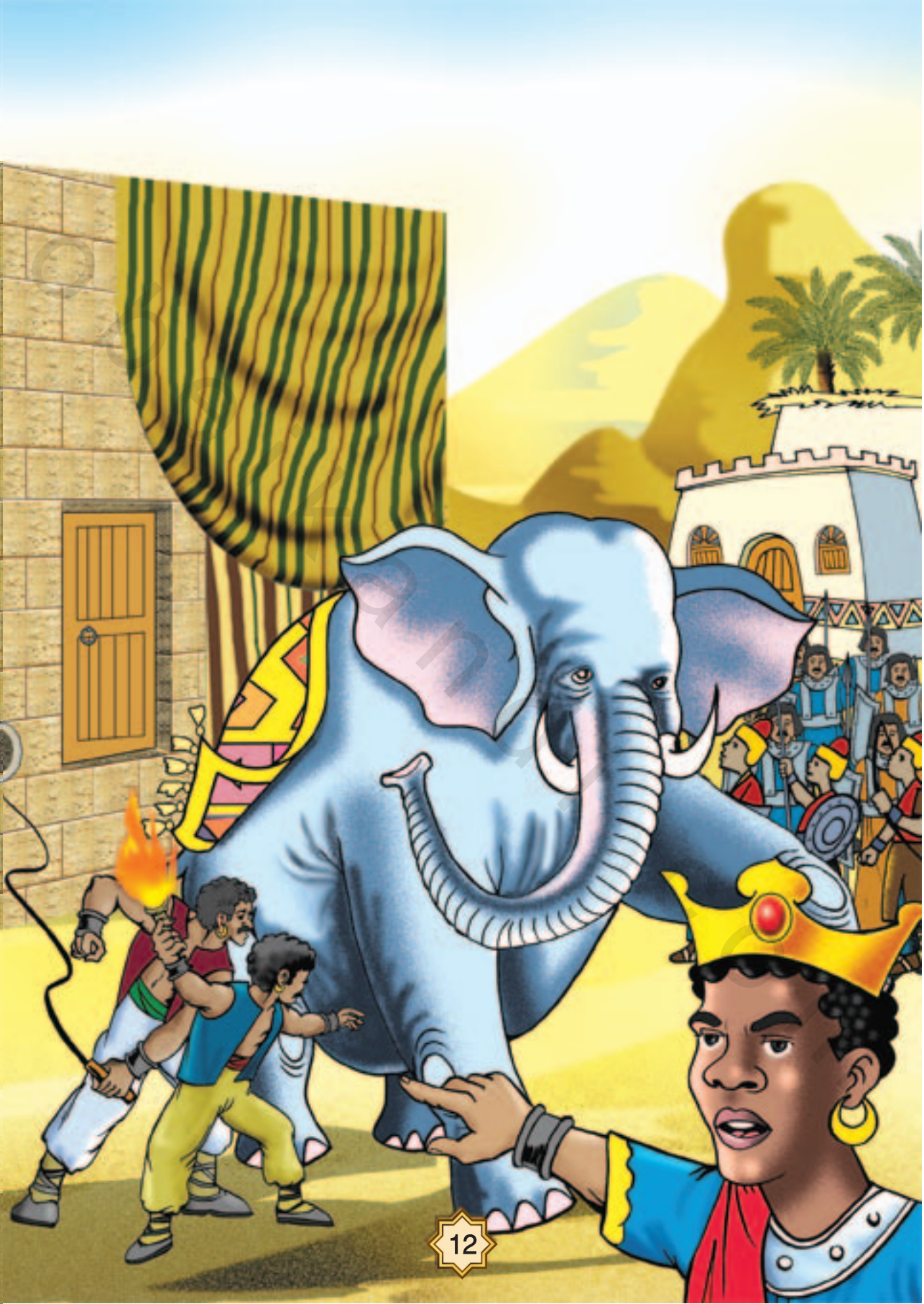

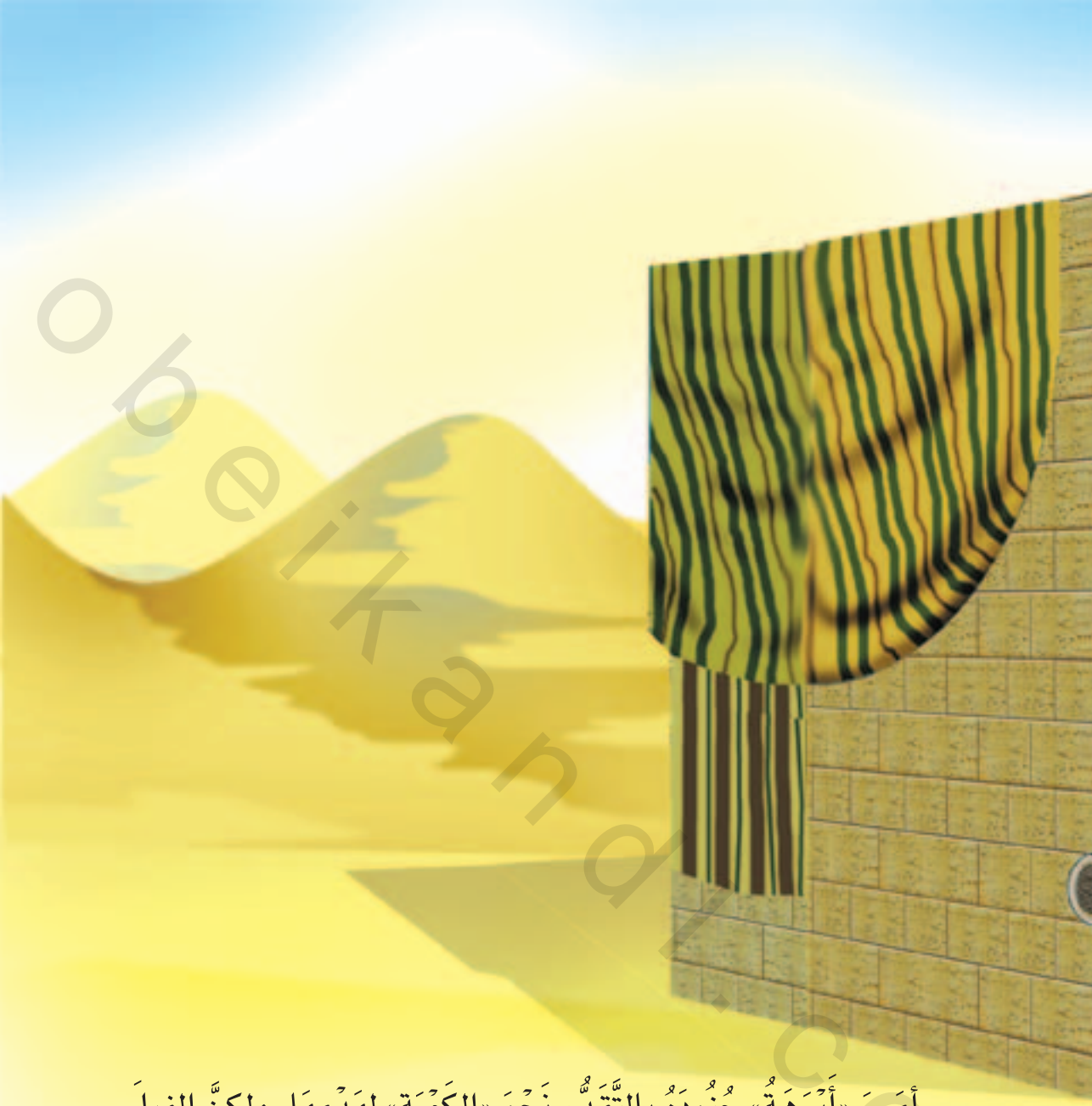

أمَـرَ «أَبْرَهَةُ» جُنُودَهُ بالتَّقَدُّمِ نَحْوَ «الكَعْبَةِ» لِهَدْمِهَا، ولكنَّ الفِيلَ بَـرَكَ عَلَى الأَرْضِ وَرَفَضَ التَّحرُّكَ مِنْ مَكَانِـهِ، وكانَ الجنودُ كُلَّما وَجَّهُـوه نَحْوَ جهـةٍ أُخْرَى يَقُومُ مُسْرِعًا ، فإذَا مَا وَجَّهُوهُ نَحْوَ الكَعْبَةِ بَرَكَ مَرَّةً أُخْرَى، ورَفَضَ التَّحرُّكَ.

obeikandl.com

وَفجـأَةً أَظْلَمَتِ السَّماءُ، وَغَطَّـتِ المَكانَ سَحَابَةٌ كَبـيرةٌ سَوْدَاءُ، كانتِ السَّحابَةُ عِبارةً عَنْ مَجموعةٍ ضَخْمَةٍ من الطُّيورِ الصَّغيرةِ.

رَاحَـتِ الطيـورُ تُلْقِي بِقِطَعٍ صَغيرةٍ من الحجـارةِ علَى «أَبْرَهَةَ» وَجُنُودِهِ، فكانَتْ هَذِهِ الحجارَةُ لا تُصيبُ أحَدًا مِنْهم إلا أَهْلَكَتْه.

وَأَسْرَعَ مَنْ نَـجَا مِنْهُم بِالهَرَبِ، وَالعَوْدَةِ إلى اليَمَنِ، وسَمَّى النَّاسُ هَذَا العامَ «عامَ الفِيلِ»، وفيهِ وُلِدَ النبيُّ .

كان النَّبِـيُّ «مُحَمَّدٌ» ~ ما يَزَالُ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّه عِنْدَما مَاتَ أَبُوهُ «عبدُ اللّهِ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ» وَهُوَ فِى طَرِيقِ عَوْدَتِهِ مِنْ رِحْلَةٍ تِجَارِيَّةٍ إلـى «الشَّامِ»، فَدُفِنَ فِى «المَدِينَةِ» عِنْدَ أَخْوَالِهِ من «بَنِى النَّجارِ» .

وَحِينَمَا وَضَعَتِ السَّيِّدةُ «آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ» مَوْلُودَها ، فَرِحَ بِهِ جَدُّه «عَبْدُ المُطَّلبِ» فَرَحًا شَدِيدًا، وَسمَّاه «مُحَمَّدًا» .

وكَانَ مِـنْ عَـادَةِ العَـرَبِ أنْ يُرْسِلُـوا مَوَالِيدَهم إلـى البَادِيَةِ مَعَ المُرْضِعاتِ، لِيَنْشَئُوا أقوياءَ الجسْمِ فُصَحاءَ اللِّسَانِ .

وكانَ الوليـدُ «مُحَمدٌ» #مِنْ نَصِيـبِ السَّيِّدَةِ «حَلِيمةَ السَّعْدِيَّةِ»، فَأَخَذَتْهُ مَعَهَا إلَى ديَارِ قَوْمِها «بني سَعْدٍ».

عاشَ «مُحَمَّدٌ» # في دِيَارِ «بَنِـى سَعْدٍ» نَحْوَ أرْبَعِ سَنَواتٍ، وَكَانَ وَجُـودُه بَيْنَهـم سَبَبَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ كَثِيرةٍ علَيهِمْ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى «مَكَّـةَ» لِيَعِيشَ في أحْضَانِ أُمِّه شُهُـورًا قَلِيلَةً، وكأنَّه يُوَدِّعُها قَبْلَ أنْ تَرْحَلَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا .